الجزء الثالث — المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

شوال ١٤٠٤ هـ
تموز ١٩٨٤ م

كتاب «المذكر والمؤنث»

لأبي حاتم السجستاني

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

كلية بغـــداد / جامعة الموصل

الرجل :

هو ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (١) ، (ت ٢٥٥ هـ) البصري الراوية اللغويّ (٢) المقرئ المفسّر المحدّث النحويّ (٣) .

أخذ عن طائفة من شيوخ عصره المرموقين ، وفيهم : أبو زيد الأنصاري ، والأصمعيّ ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ويعقوب بن اسحاق الحضرميّ ، والاخفش الاوسط . وتلمذ له ابن قتيبة وابن دريد ، وسواهما .

وقد أحصى له عدد من الباحثين ما ترك من آثار ، وكان أوفاهم صنيعاً محقق كتاب (فعلت وافعلت) حيث انتهت عنده الى ثمانية وأربعين كتاباً (٤).

الكتاب :

هو أجلّ كتب أبي حاتم وأخطرها أثراً في الدرس اللغويّ ، وأوسع

---

(١) النسبة الى سجستان في اطراف خراسان ، وهو من قبيلة جشم العربية صليبة او ولاء .

(٢) أعد بحثا لكشف هذا الجانب .

(٣) زعم ابن خلكان (الوفيات ٤٣١/٢) انه لم يكن حاذقا في النحو ، وكان اذا اجتمع بالمازني تشاغل او غادر المجلس خشية ان يسأله في النحو . وهذا القول منقوض بما أورده السيرافي (اخبار النحويين البصريين ٥٥) والزبيدي (الطبقات ١٠٠) من أن له كتاباً في النحو ، وقد عده الأول في الطبقة الثانية من النحويين البصريين ، وسلكه الثاني فيهم ، وزعم أنه روى علم سيبويه عن الاخفش، وانه قرأ الكتاب مرتين ، وكانت تقرأ عليه كتب الاخفش فيرد رداً حسناً .

(٤) ينظر : مقدمة (فعلت وافعلت) ص ٣ فما بعدها .

كتب التذكير والتأنيث الأُمّات لمعاصريه .

ولم يعرّف بنسخته النفيسة الفريدة التي لا ثانية لها في العالم سوى الدكتور نهاد جتين (٥) ، والدكتور رمضان عبدالتّواب ، وهي ضمن مجموع رقمه ٢٩٥ تحتفظ به مكتبة (يوسف أغا) بقونية ، وعدد صفحاتها ثمان ومئتا صفحة ، في كلّ صفحة ثلاثة عشر سطراً ، متوسط كلمات كل سطر تسع كلمات (٦) .

تحقيق نسبة الكتاب :

أجمع اصحاب التراجم والطبقات المتقدمون أنّ لأبي حاتم كتاب « المذكر والمؤنث » لم يشذّ على هذا الإجماع أحد ، وورد في « مجالس العلماء » للزجّاجي (٧) أنّ أبا حاتم اجتمع هو والتوّزيّ عند الأخفش الأوسط ، فقال له التوّزيّ :

ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث ؟ فأجابه أبو حاتم : قد عملت في ذلك شيئاً . ومن ثمةّ كان العلماء المعاصرون لأبي حاتم يعرفون يقيناً انصرافه الى تصنيف كتاب في التذكير والتأنيث ، وليس من المنطق في شيء أن يكون كتاباً يسيراً صغيراً ، كما صار شأن ما صنّفه كثير من اللغويين فيما بعد ، وشأن الرسالة المختصرة المنسوبة إليه خطأ .

وقد أصبح الكتاب حقاً مصدراً خطير الأثر في كتابين هما أجلّ الكتب المصنّفة في هذا الميدان هما : كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباريّ ،

---

(٥) أطلعني الدكتور نهاد جتين عليها محققة حين زرته أنا والصديق الدكتور حاتم الضامن في معهد الدراسات الشرقية باستانبول صيف عام ١٩٧٥ ، وأعارني مشكوراً مصورة لها ، كانت مناط هذا البحث ، وآخر سيأتي ، وينظر : مجلة الشرقيات ١/٩٣ – ٩٧ .

(٦) مقدمة مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ٢٤ ، واعاد الاشارة اليه في كتب تالية ، وهو يتحدث عن تراث العربية في التذكير والتانيث .

(٧) المجلس ٢١/ ص ٥٠ .

وكتاب المخصّص لابن سيدة ، فقد نقلا عنه نصوصاً كثيرة (٨) ، وجدتها كلّها في كتاب أبي حاتم حذو القذّة بالقذّة أحياناً ، وبتغيير طفيف أحياناً اخرى (٩) . لعل مردّ ذلك الى أنّهما اعتمدا على نسختين أُخريين غير النسخة التي بين أيدينا .

أمّا إذا عدنا الى النسخة المخطوطة من الكتاب ، وهي موضوع بحثنا لفحصها فحصاً داخلياً ، فإنّنا نجد :

١ . أنّه كُتِب على صفحة العنوان :

« كتاب المذكر والمؤنث تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستانيّ » ، والنسبة واضحة صريحة ، والاسم واضح صريح .

٢ . وأنّ الكتاب مقابل على أصل ، وقد تمّت المقابلة بتاريخ يلي سنة ثلاث مئة وأظنّها سنة ست وثمانين على أبعد احتمال ، فقد ورد في ختام الورقة الأخيرة عبارة كان واضحاً منها :

« تمّت المقابلة في من ربيع الآخر من سنة وثلثماية » .

وقد وجدت في الصفحة الأخيرة من كتاب سابق من المجموع ، بالخط الذي كتبت به هذه العبارة ما يأتي :

« وفرغت من قراءتي هذا الكتاب علي أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد

---

(٨) الذي اراه ان صاحب المخصص قد نقل ما نقله من كتاب ابي حاتم عن طريق كتاب ابن الانباري ، للتماثل الذي يصل احيانا الى حد التطابق بين عبارتي ابن الانباري وابن سيدة المنسوبتين الى ابي حاتم والاختلاف بينهما وبين عبارة ابي حاتم في نسخة كتابه التي بين يدي ، او ان تكون النسخة التي اعتمدها ابن سيدة منسوخة عن نسخة ابن الانباري ينظر على سبيل التمثيل : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، والمخصص ١١٩/١٧ .

(٩) ينظر المذكر والمؤنث وهوامشه على سبيل التمثيل : ص ١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ . والمخصص ١٠٠/١٦ ، ٣٥/١٧ ، ٤٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ .

ابن جعفر بن محمد المهلّبيّ (١٠) في رجب من سنة أربع واربعين وثلثماية ... »، وهذا دليل على وثاقة النسخة من حيث مقابلتها وضبطها وقدمها ، ومن حيث خطّها النفيس الواضح الذي يرقى الى القرن الرابع الهجريّ .

٣ . وأنّ الكتاب برواية أبي الحسن (لعلّه الاخفش الصغير عليّ بن سليمان اذ جاء فيه ما نصه (ق ١٣٦ ب) .

« قال ابو الحسن : انشدنا أبو العبّاس المبرّد عن الزيّادي عن الأصمعي في تأنيث البعير :

لا تبتغـي ابـن البعيـر وعنـدنا عـرق الزّجـاجة

ومعلوم أنّ كثيراً من رواة الكتب يقحمون فيها شيئاً من أقوالهم أو من رواياتهم وهو ما فعله الأخفش نفسه في روايته لنوادر ابي زيد ، وكامل المبرّد .

٤ . وقد ذكر أبو حاتم أخذه عن أبي زيد الأنصاريّ (١١)، والأصمعيّ (١٢) والأخفش الأوسط (١٣)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (١٤) ، وتتفّق الكتب التي ترجمت لأبي حاتم ، أو ترجمت لهم على اتّصاله بهم .

أمّا كتاب « المذكر والمؤنث » المنسوب الى أبي حاتم ، وقد نشره أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في مجلة « رسالة الاسلام » العددين ٧ ، ٨ ، ثم نشرته الدكتورة ابتسام مرهون الصفّار في مجلة « البلاغ » .

---

(١٠) نزيل مصر ، كان أديباً لغوياً نحوياً ، روى عنه المصريون واكثروا ، وتنافسوا في خطه والرواية عنه (الإنباه ٢/٢٢٢) .

(١١) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ .

(١٢) ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ .

(١٣) ١٥٧ ، ١٧٩ .

(١٤) ١٧٨ .

أقول : أما هذا الكتاب ، فإن الشكّ يخترم نسبته إلى أبي حاتم السجستانيّ لما يأتي :

١ . لم يذكر من ترجم له أنّ له كتاباً مختصراً في التذكير والتأنيث بازاء كتابه « المذكر والمؤنث » .

٢ . وأنّ ما كتب على صفحة العنوان هو « كتاب التذكير والتثنيث للعلاّمة أبي حاتم رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين . هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ رحمه الله ، ونفعنا ببركاته . آمين . » وعلى هذا العنوان كلّه ملاحظ :

آ . أنّ العنوان هو (كتاب التذكير والتأنيث) لا المذكر والمؤنث وتسمية الرسالة المحقّقة باسم (المذكر والمؤنث) تصرّف بالعنوان غير مباح.

ب . لم يعرف المترجمون ولا غيرهم لأبي حاتم لقباً هو (شمس الدين) ولم يكن اسمه محمداً ، بل هو سهل بن محمد .

ج . أنّ العبارة برمّتها هي عبارة المتأخرين .

٣ . وحين نعود الى النّص المنشور ، ووصف مخطوطته — على ما ذكر المحقّقان — وعلى اللوحين المنشورين منه ، نجده غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، كما أنّ ناسخه قد أمعن في العناية باخراجه منسوخاً بخط الثلث الجليّ ، وهو خطّ يتأخر كثيراً عن تاريخ نسخ مخطوطة (المذكر والمؤنث) التي ندرسها .

ويلي البسملة في مطلع الرسالة عبارة : (اختصار التذكير والتأنيث) وهذه العبارة مختلفة عن عنوان الغلاف ، وعن العنوان الذي وضعه المحقّقان .

وبعد ، أفهذا النصّ : هو مختصر لكتاب أبي حاتم (المذكر والمؤنث) ؟ من اختصره ؟ أم هو كتاب آخر له أو لغيره ؟

حين عدت الى الاختصار والكتاب أوازن بينهما ، وقفت على :

١ . اختلاف في ترتيب المواد المذكرة والمؤنثة بين الاختصار والكتاب .

٢ . وورود ألفاظ في الاختصار ليس لها ذكر في الكتاب .

٣ . واحتواء الكتاب على الفاظ شتىّ خلا منها الاختصار.

٤ . وأنّ الاختصار ليس اختصاراً ، بل هو التقاط هيّن يسير .

ومن ثمّة رجح عندي أنّ الاختصار ليس لأبي حاتم ، لم يضعه وضعاً منفصلاً ، ولم يجرّده من كتابه ، كما لم يختصره أحد من كتاب ابي حاتم .

ولعلّه من وضع شخص لا يعرف من اسمه إلاّ (محمد شمس الدين) فأضاف إليه الناسخ اسم (أبي حاتم السجستانيّ) وهماً أو جهلاً أو ترويجاً له .

وعلى هذا ، فإنّ ما ذكره الدكتور رمضان عبدالتوّاب من (أنّ منه مختصراً مخطوطاً بدار الكتب) ، وهو يشير إلى الاختصار ، قول مرسل إرسالاً بلا قرينة ، وهو معتمد على فرض لم يتحقّق من صدقه ، إذ إنّ إشارته إلى وجود مخطوطة كاملة من كتاب « المذكر والمؤنث » بقونية (١٥) مستفادة – في تقديري – ممّا كتبه الدكتور نهاد جتن (١٦) ، ولم يتسنّ له أن يوازن بين الكتابين ، ولو وازن إذن لكان له قول آخر .

وقد تحدث الدكتور رمضان بعدُ عن الاختصار ، فقال : « وكتب تحته : « هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ ، وهو تحريف عجيب ، صوابه : (سهل بن محمد ابو حاتم السجستانيّ) » .

وليس الأمر كما ذكر ، وقد بيّنت السبب واضحاً ، وإذا عرف السبب بطل العجب ، كما يقولون .

---

(١٥) مقدمته لمختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ص ٢٤ .

(١٦) مجلة الشرقيات / العدد ١/٨٧ – ١١٨ .

مصادره :

تتحدّد مصادر أبي حاتم في كتابه :

آ . فيما سمعه هو أو رواه عن العرب .

ب . فيما سمعه أو رواه عن اللغويّين البصريّين : أبي زيد الأنصاري والأصمعي : والأخفش الاوسط ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ويونس ابن حبيب (١٧) .

وكانت روايته عنهم ، سوى يونس ، بقوله : (سمعت) و(سمعت من) و (أخبرني) و (حدّثني) و (زعم) و (قال) و (سألت) و (أنشدني) و (أنشدنا) .

وسأذكر فيما يأتي جميع ما أفاده من هؤلاء منسوقاً على الصفحات محققاً ومعارضاً على النظائر :

أولا : أبو زيد الأنصاري .

١ . « وحدّثني ابو زيد الانصاريّ أنّ رؤبة بن العجاج كان يقول للبِرْذَون قرّب ذلك الدابّة ، لانّ الدابة للذكر والانثى . » (١٧)

٢ . « واخبرني أبو زيد أنّ العرب تقول صبيّ يتيم للذي مات أبوه وأمّا اليتيم من الدوابّ فالذي ماتت أمّه . » (١٨)

٣ . « وحدّثني ابو زيد الانصاريّ انّه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وحرّيات وعدلات . » (١٩)

---

(١٧) ١١٦ أ ، في الاصل (قرد) موضع (قرب) ، تحريف . وفي اللسان (دبب) ٣٥٧/١ انه ذكر عن رؤبة انه كان يقول : قرب ذلك الدابة لبرذون له . وذكر انه يقع على المذكر والمؤنث وحقيقته الصفة !.

(١٨) ١١٨ ب ، وفي اللسان (يتم) عن ابن السكيت ان اليتم في الناس من قبل الاب . وفي البهائم من قبل الام .

(١٩) ١٢٢ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٤٩ : « وقال ابوزيد الانصاري : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدل على وكيلة ». وفي المخصص ٣٦/١٧ :=

٤ . « فقالوا : هذا كمء ، وهذان كمآن ضخمان ، وهذه ثلاثة اكمؤ ، قال ابو زيد الأنصاريّ : من العرب من يقول للواحدة والجمع بالهـــاء وكذلك الجبأة للكمأة الحمراء ، يقال : هذا جبؤ ، هذان جبآن وثلاثة اجبؤ ، والجمع الجبأة ، وقالوا للكمى الابيض : هذا فَـقْـع وثلاثة أفقُع ، وهو الفَـقْـعة . قال ابو زيد : وربّما قالوا للجميع الفُـقوع . » (٢٠)

٥ . « وفَـصّ الخاتم مفتوح ، وزعم ابو زيد أنّ الـكسر لغة ، وكذلك كان يقول في حَـجَر المرأة انّه قد يقال : حِـجر . » (٢١)

٦ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعيّ انّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور ، ورغم ابو زيد انّه يؤنث ويذكر » (٢٢) .

= « وربما ادخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، وكذلك وكيلة وحرية ووصية ، وسمع من العرب وكيلات . فهذا يدل على وكيلة ... وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ماحكاه ابو زيد من قولهم : عديلات » .

(٢٠) ١٢٩ ب ، ١٣٠ أ ، وفي التكملة للفارسي ٣٥٩ : قال ابوعمر (يعني الجرمي) سمعت يونس يقول : هذا كمءٌ ، كما ترى لواحد الكمأة فيذكرونه فاذا ارادوا جمعه قالوا : هذه كمأة . قال ابو زيد : قال منتجع : كمءٌ واحد ، وكمأة للجمع ، وقال ابو خيره : كمأة للواحدة ، وكمءٌ للجميع ، فمر رؤبة بن العجاج ، فسألوه ، فقال : كمءٌ وكمأة ، كما قال منتجع . وفي اللسان (كمأ) : وحكى عن ابي زيد ان الكمأة تكون واحدة وجمعا . وفي الصحاح : تقول هذا كمءٌ ، وهذان كمآن ، وهؤلاء اكمؤ ثلاثة . .. وقيل : الكمأة هي التي الى الغبرة والسواد ، والجبأة الى الحمرة ، والفقعة البيض .

(٢١) ١٣٩ ب ، وفي اللسان (فصص ٣٣٤/٨) : وفص الخاتم وفصه بالفتح والكسر وفيه . (حجره /٢٣٩) : وحجر الانسان وحجره بالفتح والكسر ... يقال : حجر المرأة وحجرها حضنها .

(٢٢) ١٤٠ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث في العنق ، وزعـــم ابو زيد انه يؤنث ويذكـر قـال السجستاني : والتذكير الغالب عليه . » وفي المذكر والمؤنث للفراء ٧٣ ، انها مؤنثة في قول اهل الحجاز ، وهي كذلك عند ابي موسى الحامض (ما يذكر ويؤنث من الانسان واللباس ٢٧) ، ويجوز فيه التذكير والتأنيث عند ابن الانباري ٢٩٢ ، وابي البركات في البلغة ٧٢ .

٧ . « وانشدنا ابو زيد لأبي الاخذم التميمي :

مقلّصاً بالدرع ذي التغضّنِ (٢٣)

٨ . « والفردوس مذكر ، سمعت ابا زيد يذكر ذلك . » (٢٤)

٩ . « والذراع مؤنّثة ، وقد ذكّره بعضهم ، واللغة الجيّدة التأنيث ، سمعت اللغتين من ابي زيد . » (٢٥)

١٠ . « وامّا ابو زيد فكان يقول لنا كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تؤنث وتذكر الذراع والقفا والعنق واللسان . » (٢٦)

١١ . « وانشد ابو زيد في أحجية معاياة ، وهو يعني الاسنان :

وسربِ ملاحٍ قد رأينا وجوهَهُ إناث أوانبه ذكورٌ أواخرُهْ . »(٢٧)

١٢ . ويقال مؤنثتان ، فاذا نزعوا حرف التأنيث ذكروا ، فقالوا : وانشدنا ابو زيد:

---

(٢٣) ١٤٦ ب ، وذلك على تذكير الدرع ، وهو لغة تميم ، وثمة خلاف فيما نقله ابن الانباري ٣٥١ ، ٣٥٢ عن السجستاني ، اذ قال : « وقال السجستاني : انشدنا ابو زيد والاصمعي لابي الاخزر الحماني: وذكر الرجز ، غير ان ابا حاتم نسبه الى ابي الأخزر في ص ١٢١ ، والدرع عنده مؤنثة .

(٢٤) أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٧١ : « وقال السجستاني : سمعت أبا زيد يذكر الفردوس ، ويحتج بقولهم : الفردوس الأعلى . » وهو كذلك عند ابن جني في المذكر والمؤنث له ١٤ ، ويذكر ويؤنث عند ابن الانباري ٣٧ ، ومعناه البستان ذو الكرم، معرب عند أغلب أهل اللغة ، عربي عند الفراء وابن الانباري .

(٢٥) ١٤٩ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٠٢ : « وحكى السجستاني عن أبي زيد انه قال : الذراع يذكر ويؤنث . »

(٢٦) ١٥٤ أ ، وفي : ابن الانباري ٣٠٨ : « وقال السجستاني : كان ابو زيد يقول كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تذكر وتؤنث : الذراع ، واللسان ، والعنق ، والقفا . »

(٢٧) ١٥٤ ب ، وفي المخصص ١٥/١٧ : « قال أبو حاتم : وانشد أبو زيد في أحجية وزاد : وأراد الأسنان ، لأن أدانيها الثنية والرباعية مؤنثتان ، وباقي الأسنان مذكر مثل الناجذ والضرس والناب .

وأنشد : يرتَجُّ ألياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ » (٢٨) .

١٣ . « وسمعت أبا زيد يقول : سمعت من العرب من يقول : (للسلم فاجنُح له) مضموم النون ، وذكّر ، فقال : له ، ولم يقل : لها . » (٢٩) .

١٤ . « وامّا النُّور من الأنوار فواحد مذكّر ،وسمعت أبا زيد يقول : تَصغير النور جماعة النار : نويرات ، وأُنَير ، مهموز وغير مهموز ، لانّك تقول : ثلاث أنؤر فتهمز ولا تهمز . » (٣٠) .

١٥ . « وهو مثل العَناق مؤنثة ، وثلاث اعنق . والعنوق ،وانشدنا أبو زيد: أنشد من أمّ عَنوقٍ حِمْحِمِ » (٣١) .

١٦ . « وبّما قالوا للجميع : ضُبُع ، مضموم الاول ، أنشدنا ابو زيد عن المفضّل :

ياضُبُعاً اكلت آيارَ أحمرةٍ ففي البطونِ وقد راحَتْ قراقيرُ
هل غير همزٍ ولمز للصديق ولا تنكي عدوَّكم منكم أظافيرُ

وامّا ابو زيد فأنشدنا : ضَبُعاً ، على لفظ الواحدة .... » (٣٢) .

---

(٢٨) وذهب ابو علي الفارسي في (التكملة ٣٤٨) الى غير هذا اذ جعلهما حرفين نادرين لا تلحقهما التاء في التثنية ، وأنشد الرجز بتأنيث الفعل : ترتج . .. وفي نوادر ابي زيد ٣٩٣ على التذكير ، وينظر هوامشه .

(٢٩) ١٥٦ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٦١ ، ٣٦٢ عن السجستاني : « سمعت ابا زيد الانصاري يقول : ... (وان جنحوا للسلم فاجنح له) فبضم النون ، و(له) على التذكير ... قال أبو بكر : وضم النون لغة معروفة . »

(٣٠) ١٥٨ ب ، ونقل ابن الانباري ٤٠٨ عن ابي زيد : النور جمع النار ، يقال في تصغيرها : نويرات ، والأنور ، يقال في تصغيره : أنير وأنير ، وأنيور وهذه العبارة اوضح .

(٣١) ١٦٢ أ ، ١٦٣ ب ، ونقله ابن الانباري ٣٩٣ عن السجستاني ، وزاد بعده بروايته عنه : سوداء دهساء كلون العظلم .
والعناق : الأنثى من أولاد المعز ، إذا أتت عليها سنة (التاج / عنق) وجمعها على (عنوق) نادر : والغالب جمعها على (أعنق) .

(٣٢) البيتان في : ابن الانباري ٩٣ عند ابي زيد عن المفضل وفي ٩٤ : « قال السجستاني : =

١٧ . و« الصقر مذكر والانثى صقرة وأنشدنا ابو زيد :

والصقرة الأنثى تبيض الصقرا» : (٣٣) .

١٨ . « قال أبو زيد : يقال للبزاة والشواهين ، وغيرها مما يصيد الصقور قال العجّاج : البازي من الصقور . » (٣٤) .

١٩ . « والقليب مذكّر ، وثلاثة اقلبة ، وهي القلب ، وقد يؤنث القليب ، انشدنا ابو زيد .

وإن أبى(٣٥) كانَتْ لنا القليبُ . » (٣٦) .

٢٠ . « الصاع مذكر ، وثلاثة اصواع ، وهي الصّيعان ، وانشد ابو زيد :

شَرَيْتَ غَلاماً بين حِصنٍ ومالكٍ بأصواعِ تمرٍ إذ خشيْتُ المهالكا(٣٧)

٢١ . « السلاح مؤنثة ومذكرة . حدثني بذلك أبو زيد عن العرب » (٣٨) .

٢٢ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت ابا زيد والاصمعي

= أظنه ياضبعاً بضم الضاد والباء ، يريد الجمع وقد أنكر ابن الانباري روايته على الجمع ، لأن الرواية على الواحد ، وهو قد يغني عن الجمع .

(٣٣) ١٦٦ أ ، وفي المذكر والمؤنث لاحمد بن فارس ٥٩ ، وابن الانباري ٣٩٣ : « والصقر ذكر ، وأنثاه صقرة . » واورد الرجز عن ابي زيد ، وبعده : ثم تطير وتخلي الوكرا .

(٣٤) ١٦٦ أ ، وفي اللسان (صقر ١٣٦/٦) عن ابن سيدة : « والصقر كل شيء يصيد من البزاة والشواهين . »

(٣٥) رسمت في الأصل : أبا .

(٣٦) ١٦٧ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٣٥ : « وقال السجستاني : القليب يذكر ويؤنث ، ويقال في جمعه : أقلبة ، والكثيرة القلب ، وقال انشدني ابو زيد :

اني اذا شاربني شريب
فلي ذنوب وله ذنوب
وإن أبى كانت له القليب

فأنث ، وهي لغة . »

(٣٧) ١٦٧ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٥٧ : « قال السجستاني : أنشدنا ابو زيد : ... » وذكر البيت

(٣٨) ١٧١ ، وفي ابن الانباري ٣٤٩ : «حكى الكسائي والفراء وأبو عبيد ويعقوب ان السلاح يذكر ويؤنث وقال السجستاني : اخبرني بالتذكير والتأنيث ابو زيد وغيره . »

وغيرهما ممّن ادركنا ، فكلّهم يذكّره وينكر التأنيث » (٣٩) .

٢٣ . « والعوّى ، مقصور ، نجم من النجوم . وحدّثني أبو زيد أنه اسم مقصور . » (٤٠)

٢٤ . « وقسّا اسم بلد ، مقصور مؤنث ، اخبرني بذلك ابو زيد . » (٤١)

٢٥ . « الارض مؤنثة . . . وسمعت أبا زيد يقول في الجمع عن العرب : آراضٌ . » (٤٢)

٢٦ . « قال ابو زيد : هذا رِداي ، وهذه رداتي بالتاء . » (٤٣)

٢٧ . « قال ابو زيد : يقال : هو الجرّ ، وهي الجرّة . » (٤٤)

---

(٣٩) ١٦٨ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣١٤ : « قال السجستاني : هو مذكر ، قال وسألت أبا زيد الانصاري والاصمعي ... » ، وعن اللحياني (نفسه ٣٢٥) أنه يذكر ويؤنث . وفي نوادر ابي مسحل ٤٩٢/٢ : « هذه سكين ، وهذا سكين ، والوجه التأنيث.» وقال الفراء ٩٦ : ربما انث . وفي التاج (سكن ٢٣٨/٩) : وربما الحقوا فيها التاء ، فقالوا : سكينة وفي مجالس العلماء ١٢٩ : أن المازني لايرى غير التذكير

(٤٠) ١٧٥ أ ، وفي مجالس العلماء ١٩٣ : « قال ابو حاتم : حدثني ابو زيد ..... قال : العوا ، مقصور مؤنث . » ، وفي المقصور والممدود للقالي ١٠٧ أنها اربعة انجم تشبه كافاً غير مشقوقة أو الفاً مردودة الاسفل . وفي ابن الانباري ٤٢١ : والعوا مؤنث مقصور ، اسم كوكب . وينظر : المخصص ٨/١٧ .

(٤١) ١٧٥ ب ، وقسا : قيل موضع بالعالية ، وقرية بمصر ، وقارة ببلاد تميم ينظر : معجم البلدان ٤ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ . وفي المقصور والممدود للقالي ٤٧ أن (قسا) على (فعل) اسم جبل . وفي معجم ما استعجم ١٠٧٣/٣ ان المطرزي حكاه في باب المقصور الممدود (قسا) ، كما ذكره في المضموم الممدود . وذكر ابن الانباري أن ذا الرمة قصره وأما (قسا) بتضعيف السين ، فهو من بلاد فارس . وسيأتي .

(٤٢) ١٧٢ آ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٨٨ : « قال ابو زيد : سمعت العرب تقول في جمع الارض : اراض ، واروض . » وهو عن الاخفش الاكبر اراض كما في الكتاب ١٩٩/١٢ .

(٤٣) ١٧٨ ب ، وفي المخصص ١٧٨/١٦ : والازار والازارة . ما ائتزرت به وهو الرداء والرداءة .

(٤٤) ١٨٠ آ ، وفي المخصص ١٧٩/١٦ : وقالوا جر وجرة .

٢٨ . « الأشُدّ يذكر ويؤنث عن ابي زيد ، يقال : هو الأشُدُّ . » (٤٥)

٢٩ . « وحروف المعجم ، اخبرني الأصمعي وابو زيد النحويّ انّها تؤنّث ، وذلك اكثر ، وتذكّر . » (٤٦)

ثانيـــاً : الاصمعيّ :

١ . « قال لي الاصمعي : انشدني اعرابيّ من شّق اليمامة بغير هاء :

يا جارتا بيني فإنّك طالـــقُ

فجعله بيتاً غير مصرّع ، وأراد : انّك قد طلقت . » (٤٧).

٢ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعيّ انّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور . » (٤٨)

٣ . « وسألت الاصمعيّ عن قول طفيل :

إذ هي أحوى من الرّبعيّ حاجبُه والعينُ بالإثمد الحاريّ مكحولُ

---

(٤٥) ١٨١ ب وفي المذكر والمؤنث لابن الانبار ٤٣٥ : « وقال السجستاني قال ابو زيد : الاشد يذكر ويؤنث ، من قولهم بلغ الرجل اشده . يقال هو الاشد وهي الاشد . » والاشد ، اربعون سنة على امثل الاقوال : قال تعالى : « حتى اذا بلغ اشده ، وبلغ اربعين سنة . »

(٤٦) وفي (المذكر والمؤنث) لابن الانباري ٤٥٠ : « وقال السجستاني : اخبرني ابو زيد والاصمعي ان حروف المعجم تذكر وتؤنث ، والتأنيث اكثر واعرف . » وقال الفراء ١١٠ « وكل شي من حروف أ ب ت ث يقع عليه العجم فهو مؤنث وما لم يقع عليه العجم فهو مذكر . » وقال في ١١١ « وحروف المعجم كلها إناث ولم نسمع في شيء منها تذكيراً في الكلام ، وقد يجوز تذكيرها في الشعر .

(٧) ١١٧ أ ، ب ، وهو صدر بيت للاعشى :

يا جارتا بيني فإنت طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقه

وقد وردت (طالق) للتأنيث ، لانها على (تطلق) ، وقال الفراء ٥٨ : « وربما أتى بعض هذا بالهاء في الشعر ، وليس ذلك يحسن في الكلام . » وفي ابن الانباري ١٤٢ : « وقال السجستاني : حدثني الاصمعي ، قال : انشدينه اعرابي من شق اليمامة بغير هاء : بيني فبإنك طالق . جعله ... » .

(٤٨) ١٤٠ ب في ابن الانباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الاصمعي أنه لا يعرف التأنيث في العنق . » وفي التكملة للفارسي ٣٩٢ : « والعنق يذكر ويؤنث عن ابي زيد ، وقال الاصمعي : لا اعرف فيه التأنيث . » وينظر الفقرة (٥) فيما كتبت عن ابي زيد .

فقال : اراد : حاجبُه مكحولُ ، والعينُ . » (٤٩)

٤ . « ويقال : عجيزة المرأة ، قال الاصمعيّ : ولا يقال للرجل ، الاّ على التشبيه . » (٥٠)

٥ . « وقال لي الاصمعيّ : القفا مؤنثة ، ولا يذكّرها أحد (٥١) ، فعجبت منه ، وحكى لي عن الهُذلي قوله :

« هي قفا غادرٍ شرّ »

ثم انشد مرة اخرى :

وهل جَهِلْتِ يا قُفَيَّ التتفُلهْ

فقلت : ألا قال : يا قفيّة (٥٢) ؟ الم تزعم انّ القفا مؤنّثة ؟

فقال : دع ذا ، كأنّه يقول : الرجز ليس بعتيق ، كأنّه من قولٍ لخلف (٥٣)

---

(٤٩) ١٥٢ ، وفي ابن الانباري ٢٨٣ : « وقال يعقوب : قال الاصمعي : ذكر (مكحولا)، لان المعنى : حاجبه مكحول ، والعين ايضاً . » وينظر : التكملة للفارسي ٢٩٧ فقد فقد نقل عن المازني وغيره عن الاصمعي انه كان يتأوله على « اذ هي احوى ، حاجبه مكحول ، والعين بالاثمد . » وجعل الفراء ٨١ تذكير العين ضرورة ، لأن العرب « تجترىء على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء » .

(٥٠) ١٥٣ أ ، وفي ابن الأنباري ٢٠٤ : « ويقال : هي عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : لا يقال للرجل الا على التشبيه . » ولم يعز النقل الى ابي حاتم .

(٥١) والقفا يذكر ويؤنث عند الفراء ١٠٣ وابن الانباري ٢١٩ وقال : « والتذكير اغلب عليه » : وعند ابي البركات في البلغة ٧٢ ونقل انكار الاصمعي للتذكير . وفي التاج (قفا ٢٢٩/١٠) : وقال ابو حاتم : زعم الاصمعي ان القفا مؤنثة لا تذكر . » ومر أن أبا زيد يجيز الوجهين .

(٥٢) لأن التاء تلحق مصغر المؤنث الثلاثي ، الا في الفاظ معدودة ، وعدم لحاق التاء ، هنا ، دليل تذكيرها ، كما زعما ، وقد وهم الرجلا ن معا : الاصمعي وابو حاتم ، فـ (قفي) ، هنا مرخمة بحذف التاء .

(٥٣) يقصد به خلف الاحمر البصري الراوية .

او بعض المولّدين . » (٥٤) .

٦ . « والضّرس مذكر ، وربّما أنّثوه (٥٥) ، زعموا على معنى السنّ ، وانكر الاصمعيّ تأنيثه ، فأنشدْنا قولَ دُكينٍ الراجز :

فُـقِئت عين وطنّت ضرس

فقال : انّما هو (وطّن الضرس) ، فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ سمعه . » (٥٦) .

٧ . « الخمر مؤنثة ، وقد يذكّرها قوم فصحاء (٥٧) ، سمعت ذلك ممّن أثق به منهم وكأنّ الخمرَ المُدامَ من الاسفنطِ ممزوجةٌ بماءٍ زُلالِ (٥٨)

وكان الاصمعيّ ينشده بحذف نون (من) في الادراج :

وكأنّ الخمرَ المدامـــةَ مِـــلْ اسفنط (٥٩) ممزوجةٌ بماءٍ زلالِ

على التأنيث . » (٦٠) .

---

(٥٤) ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ ، وفي ابن الانبار ٢٩٩ : « وقال الاصمعي : لا اعرف في القفا الا التأنيث ، وقال : فعجبت من قوله ، قال : وحكي عن الهذلي في حديث : « هي قفا غادر شر » .
وهو في المقصور والممدود للقالي ٤٥ باختلاف يسير والمعنى عليه .

(٥٥) وقال الفراء ٨٩ : « والاسنان كلها إناث . . . إلا الانياب والاضراس ، فانها ذكران.» وينظر : ابن الانباري ٢١٤ ، واليه ذهب الحامض ٢٦ .

(٥٦) ١٥٤ ، وفي ابن الانباري ٢١٤ : « وقال السجستاني : ربما انثوه على معنى السن ، قال : وانكر الاصمعي تأنيثه ، قال : فأنشدناه . . . » وفي اللسان (ضرس) ان ابن سيده يذكر الضرس ويؤنثه .

(٥٧) وذهب الفراء ٨٣ الى ان الخمر انثى ، وربما ذكروها .

(٥٨) في المذكر والمؤنث للفراء ٨٣ ، وابن الانباري ٣٣٨ : (العتيق) موضع المدام ، قال الفراء : وقد ذكرها الاعشى ، فقال (العتيق) ، ثم رجع الى التأنيث ، فقال : ممزوجة ، وقد تأولها هو وابن الانباري على أن (عتيق) بمعنى (فعيل) أي : معتقة ، لانها من الاوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث .

(٥٩) في الاصل : مل الأسفنط .

(٦٠) ١٥٥ ب ، وفي ابن الانباري ٣٣٨ : « وقال السجستاني : الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها=

٨ . « حدّثني الاصمعيّ عن يحيى بن يعمر ، قال : ضرب بعض الولاة اعرابيا في شيء استودعه ، ألفاً ، فقال : والله ما هذا الاّ أُثيّابٌ في أُسيفاط . » (٦١)

٩ . « وانشدنا الاصمعيّ لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامّية بن ابي ابي الصلت :

مَنْ لا يَمُتْ عبطةً يَمُتْ هرماً ألموت كأسٌ فالمرءُ ذائقُهـــا

قال : لا يقال : للموت كأس ، انما هو الموت كأس ،وقطع الف الوصل ، لانها في مبتدأ النصف الثاني ، فاحتمل . » (٦٢)

١٠ . « قال الاصمعيّ : قال بعض الأعراب : موسى خَذَمة ، في جَزورٍ سِنَمـــة ، في غـــداة شَبِمة ، الخذمة : القاطعة ، والسِنَمة : العظيمة السنام ، والشبمة : الباردة . » (٦٣)

= بعض الفصحاء ، قال : سمعت ذلك ممن أثق به منهم ، قال : وكان الأصمعي ينكر التذكير ، فأنشدته قول الاعشى .... وكان الاصمعي يحذف نون (من) في الادراج ، وتلك لغة مشهورة معروفة .

(٦١) ١٥٩ أ ، ينسب القول إلى عيسى بن عمر الثقفي ، وقد كان صاحب تقعير في كلامه : والوالي هو يوسف بن عمر . ويعني: بألف ألف سوط . ينظر معجم الادباء ١٤٨/١٦ .

(٦٢) ب ، وفي ابن الانباري ٤١٣ : « قال السجستاني : لايقال : للموت كأس انما هو : الموت كأس : قال : وقطع الف الوصل لانها في مبتدأ النصف الثاني وهذا محتمل . انشدناه الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن أبي الصلت . » وقد وهم ابن الانباري في النقل مرتين : الاولى في نسبة المقالة الى السجستاني وهي للاصمعي برواية السجستاني، والثانية : انه روى (للكأس) بفتح اللام على الابتداء ، وهي عند السجستاني بكسرها على الجر على معنى الاضافة . وينظر اختلاف الاقوال والتخريج في هامش ابن الانباري ص ٤١٣ .

(٦٣) ١٦٠ب ، والقول شاهد على تأنيث الموسى، وفيه تفصيل . ينظر: ابن الانباري ٣٢٧ – ٣٢٩ ، والمخصص ١٧/١٧ ، ١٨ فقد ذكر فيه التأنيث والتذكير ، ونقلا عن الاموي انفراده بايراد التذكير حسب ، وهي عند الفراء ٨٦ انثى ، وينظر اللسان (موسى) .

١١ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه، سألت أبا زيد والاصمعيّ وغيرهما ممّن أدركنا فكلّهم يذكّره وينكر التأنيث، وأنشد الاصمعيّ للهذليّ :

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكّينٌ على الحلقِ حاذقُ »(٦٤)

١٢ . « وأمّا قولُ رؤبة بن العجّاج :

أجزْ بها (٦٥) أطيبَ من ريح المِسكْ .

فإنّه احتاج فحرّك السين ... وامّا الاصمعيّ ، فقال : المِسَك ، ففتح السين وجعلها جمعاً مؤنثاً كقولك : سِدرة وسِدَر ، وخِرْقة وخِرَق . » (٦٦)

١٣ . « وقال الاصمعيّ : قال فلان : كان كُثيّر عزّة كربجاً ، يعني انّه كان له حانوت يبيع فيه الخَبَط (٦٧) ، والعلف ، فظنّ انّه هو الكربج . » (٦٨)

١٤ . « وانشدنا الاصمعيّ لابن احمر :

---

(٦٤) ١٦٨ ب ، وينظر فقرة (٢١) عن ابي زيد ، وهامشه ، وفي ابن الانباري ٣١٤ « قال : وأنشدني الاصمعي للهذلي : . . . . »

(٦٥) في الاصل : احرها ، تحريف .

(٦٦) ١٦٩ أ ، وفي ابن الانباري ٣٨٥ نقلا عن السجستاني : «وقال في قول رؤبة بن العجاج : أجز بها اطيب من ريح المسك .
كسر السين اضطرارا . . . قال : وكان الاصمعي ينشد بفتح السين : المسك ويقول: هي جمع مسكة ، كقولك : خرقة وخرق ، وقربة ، وقرب .
وقول الجوهري والصاغاني : انما حركها بالفتح اضطرارا. (التاج / مسك) ١٧٧/٧.

(٦٧) الورق الساقط ، تعلف به الابل . (: اللسان / خبط)

(٦٨) ١٦٩ ب ، وفي ابن الانباري ٣٣١ : « وقال الاصمعي : قال فلان الاعرابي : كان كثير عزة كربجاً ، وزعم انه كان يبيع الخبط والنوى والعلف في طريق مكة فيحانوت» والكربج هو البقال ، اوالحانوت ، ذكر ذلك السجستاني ، وفي الالفاظ الفارسية المعربة لادي شير ١٢٤ : القربج : الحانوت معرب كربة .

ثمل رمته المنجنون بسهمهـــا ورمى بسهم حريمة لم يصطد (٦٩)

وانشدنا الأصمعي : ومنجنين كالاتان الفارق . » (٧٠)

١٥ .«وثبير اسم جبل،مذكر، قال الاصمعيّ : هي اربعة اثبرة : ثبير عيناء وثبير كدا ، فأربعة تدل على تذكير الواحد . » (٧١) .

١٦ . « وانشدني الاصمعيّ :

من اهل فسا ودَرا بِجَرد

وهما من بلاد فارس،وقال الاصمعيّ:الدرا وردى منسوب الى درا بِجَرد وانّ اصل منها . » (٧٢)

١٧ . « وقال ابو عبيدة (٧٣) هذا ازاري، وهذه ازارتي،بالتاء (٧٤) . وانشدنا :

---

(٦٩) ١٧٢ أ ، والبيت في ابن الانباري ٤١٧ والمخصص ١٧/١٧ عن الاصمعي

(٧٠) ١٧٢ أ ، ومناطه ان (المنجنين والمنجنون) نعتان ، وهي الدولاب ، قال به الفراء وابوحاتم ورواه ابن الانباري ٤١٨ والصاغاني في : ماتفرد به بعض ائمة اللغة ٢٢ عن الفراء .

(٧١) ١٧٤ ب ، وفي ابن الانباري ٤٨٠ : «وقال ابو حاتم : سمعت الاصمعي يقول ، هي : اربعة اثبرة : ثبير عيناء ، وثبير الاعرج ، وثبير الاحدب ، وثبير كداء . فقوله اربعة ، يدل على التذكير . »

(٧٢) ١٧٥ب ، في الاصـــل : فسا ودزا بجرد ودزاوردى ، بالزاى ، تصحيف وفسا أنزه مدينة بفارس ، ودرا بجرد كورة منها فسا ، وإن كانت هذه اكبر من تلك (ينظر : معجم البلدان ٤٤٦/٢ ، ٢٦٠/٤ ، ٢٦١ ، مراصد الاطلاع ٥١٩/٢) وفي المعجم ٤٤٦/٢ : « قال الزجاجي : النسبة اليها على غير قياس . يقال درا وردى) والشاهد في المخصص ١٨٥/١٥ .

(٧٣) احد موضعين نقل فيها ابو حاتم عن ابي عبيدة .

(٧٤) ١٧٨ ب وفي ابن الانباري ٣٦٣ : «وقال ابو عبيدة : هذا إزاري وهذه ازاري ، وانشد . . . » ، ولا يستقم هذا مع انشاد البيت ، لانه كان ينبغي ان يقول : وهذه ازارتي ، ولعله وهم وقع للناسخ .

كتمتّيل النشوان يسر فل في البقيرة والإزارة (٧٥)

والاصمعيّ يردّ هذا الشعر. قال : القصيدة مصنوعة، ولا يعرف الازار الاّ مذكّراً . » (٧٦) .

١٨ .وحروف المعجم، اخبرني الاصمعيّ وابو زيد النحويّ انّها تؤنث، وذلك اكثر وتذكّر ، قال الراعي : قال الاصمعيّ : وهو من افصح الناس :

أشاقَكَ آياتٌ أبان قديمُهـا كما بيّنَتْ كافٌ تلـوحُ وميمُها

فأنّث . » (٧٧)

ثالثـــا : الاخفش

١ . « وامّا الصفات فلا تصغّر بالهاء ، نحو : امرأة عَدْل ورضاً وخَلَق ، فإنّها ممّا زعم الاخفش صفات مذكّرة ، وصف بها المؤنث كما يوصف المذكر بالمؤنث في قولك : رجل ربعة وراوية ونسّابة » (٧٨) .

٢ . « قال الاخفش : الانعام تؤنث وتذكّر . » (٧٩)

---

(٧٥) وقال ابن الانباري ٣٦٤ : « وانشدناه عبد الله ، قال انشدناه يعقوب : في البقير وفي الازارة .

(٧٦) وفي ابن الانباري ٣٦٤ : « وقال السجستاني : رد الاصمعي هذا الشعر وقال : هو مصنوع ، وقال : لايعرف الازار الا مذكرا . » وفي المخصص ٢٢/١٧ :

«وقد قالوا : ازارة ، واباها الاصمعي ، واحتج عليه ببيت الاعشى

كتمايل النشـــوان يـــر فل في البقير وفي الإزاره

فقال : هو مصنوع .

(٧٧) ١٨١ ب ، وينظر : الفقرة ٢٨ من ابي زيد ، وفي ابن الانباري ٤٥٠ : وانشدنا الاصمعي للراعي ، وقال : الراعي افصح الناس : أشاقتك آيات ... » ، وينظر ابن السيرافي ٢٧٥/٢.

(٧٨) ١٥٧ أ ، وذهب الفراء الى انه من باب تصغير المصدر ، لأن الاصل فيه الا يصغر ، قال : « تصغر الخلق وان كان نعتاً لمؤنث بغير هاء ، وكذلك الجديد ، وما كان من نعت ليس فيه الهاء ، مثل قولك : عربية محض ، ومضرية قلب ، فينبغي ألا تصغر المصدر ، فان فعلت تركته على حاله بغير الهاء ، فقلت : انها لعربية محيض من العرب . » ابن الانباري ٧٠٧ .

(٧٩) ١٧٩ ب ، وفي ابن الانباري ٢٤٦ : « قال السجستاني : قال يونس والاخفش : والانعام تذكر وتؤنث ، فيقال : هو الانعام ، وهي الانعام وينظر ٣٤٧ ، =

رابعـــا : ابو عبيدة

١ . « سمعت ابا عبيدة يقول (وريت بك زنادي) ، وهذا مثل يتكلّم به هكذا . » (٨٠)

٢ . ينظر الفقرة ١٧ من الاصمعي .

يتبين لنا في ضوء ما عرضنا ممّا اخذ ابو حاتم :

١ . انّ ما أخذه مما يتصل بالالفاظ المذكرة والمؤنثة عن ابي زيد هو ثمانية عشر موضعاً ، ثلاثة مواضع لغوية ، وثلاثة في الدلالات ، واثنان في الجموع ، وواحد في اللغات وآخر في التصغير ، استشهد عليها بأحد عشر شاهدا من الشعر ، وشاهد قرآنيّ واحد .

وما اخذه عن الاصمعي سبعة في الفاظ التذكير والتأنيث ، واربعة في اللغة ومسألة في النحو ، واستشهد بأربعة عشر شاهدا من الشعر ، وردّ واحدا ، كما استشهد بأربعة اقوال .

٢ . يبدو لنا ابو زيد اكثر تساهلا في قبول اللغات ، واختلاف التذكير والتأنيث ، والروايات ، وكان الاصمعيّ متزمتّا قاسيا في القبول او الرفض والانكار ، فطعن على روايات ، واتّهم شعرا بالوضع على الظن بلا تمحيص او تحقيق ، وتتردد عنده اقوال من نحو : « انّه لا يعرف التأنيث » ، « ولا يذكره احد » ، و « فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ سمعه» و « القصيدة مصنوعة» .

= وفي ٣٤٨ : « وانكر السجستاني على ابي الحسن الاخفش وعلى يونس قولهما : الانعام تذكر وتؤنث وقال : تذكير الانعام لا يعرف في الكلام ، ولكن ان ذهب الى النعم فجائز . »

(٨٠) ١٧٦ أ ، وفي ابن الانباري ٣٩٠ : « وقال السجستاني : سمعت ابا عبيدة يقول في مثل : وريت بك زنادي ، وذلك اذا علم الرجل وعلم شيء كان يجهله فأخبره به انسان فيقول له : وريت بك زنادي ، اي : وضح لي الامر من قبله . »

وغير ذلك . وانكر شعرا استشهد به هو وهما على تأنيث العنق ، ثم ازورّ عنه بعد ان اتّضح له انّه شاهد على التذكير ، والتذكير عنده مدافع منكر .

ومن ذلك انّ ابا زيد ذهب الى تأنيث (العنـــق) وتذكيره ، على حين انّ الاصمعي يزعم انّه لا يعرف التأنيث فيه .

يؤيد ذلك انّ ابا حاتم نفسه قال ، وهو يتحدث عن ابي زيد والاصمعيّ ، وتفاوت مذهبيهما في الرواية : « وسمعت ابا زيد يقول : اهل نجد يقولون : أكننت اللؤلؤة والجارية فهي مُكَنَّة ، وكننت الحديث وكلٌّ صواب ، وكان يتّسع في اللغات حتى ربّما جاء بالشيء الضعيف فيجري ذلك مجرى القويّ ، وكان الاصمعي مولعا بالجيد المشهور ، ويضيّق فيما سواه . »(٨١) ، وانّه « كان مولعاً بأجود اللغات ، ويرد ما ليس بالقويّ . » (٨٢)

واغلب الظّن انّ ابا حاتم يعني بمصطلح (الضعيف) ما يعنيه النحويون بالقليل ، ويعني بالقويّ ما يعنونه بالكثير ، وهو عنده غير منكر ولا مدافع ، دليله ما ذكره بعد من ايلاع الاصمعيّ بالجيد الذي هو المشهور ، الكثير وهكذا يبدو فرق ما بين الرجلين : الاصمعيّ وابي زيد في التضييق ، وهو لون من يُبْس الاصمعيّ ، والاتّساع في الرواية وقبول اللغات ، وهو لون من مرونة ابي زيد وتسمّحه .

٣ . وانّ ابا حاتم متأثر — غالباً — بأبي زيد اكثر من تأثّره بالاصمعيّ ، فهو اذن ميّال — في الأكثر — الى احترام المسموع لا يطّرح منه إلاّ يسيراً ، فلا يضيّق في قيود الفصاحة ، وبذلك كان أقرب من الأصمعيّ الى فهم اللغة وطبيعتها وظواهرها .

٤ . وأنّ كتاب ابي حاتم كان كتاباً موثوقة أخباره ورواياته ، يعزوها

(٨١) فعلت وافعلت لابي حاتم ٨٨ .

(٨٢) مجالس العلماء ، المجلس ٩٥ ص ١٩٦ .

الى أصحابها كما كان كتاباً علميّاً يجنح الى التفصيل والاحاطة ، فلم يكن إذن كتاباً تعليمياً يسير المأخذ او مقصوداً به المتعلمون المبتدئون .

٥ . وأنّه أفادنا في أنْ ليس ثمّة قاعدة مطّردة ، ولا سياقاً واحداً في التذكير والتأنيث ، فما نجده مذكراً عند قوم يكون مؤنثاً عند آخرين ، وما جاز فيه وجها التذكير والتأنيث عند لغوي بناء على السعة والمرونة ، أنكر لغويّ آخر أحدهما وارتضى الثاني ، فيما وجدناه في هوامش البحث ، وفي هذا كلّه دليل على انّ اللغة تجري على رسلها وفق منطقها هي لا منطق اللغويين .

منهج الكتاب : (٨٣) .

١ — التعليـــــل .

ابو حاتم السجستاني بصريّ المذهب ، لما نعلمه من شدّة عصبيّته لهم على الكوفيين ، وهو في هذا الباب ينحو منحاتهم ، ويعلل لمسائل اللغة كما يعللّون ، لا ينفك عن ذلك البتة ، وحين يجبهه سرّ من اسرار اللغة فيه اغماض ، او او هو محتاج الى فسر فزع الى العقل يستعين به في ازالة هذا الاغماض وتفسيره ، ومن هنا ، غالى في التعليل ، يصيب حيناً ، ويعثر احيانا ، لما نعرفه عن التعارض كثيراً بين المنطق العقلي الذي سلك سبيله اللغويون وبين المنطق اللغويّ ، وهو منطق خاص ، لا يخضع الاّ لمـــاماً للمنطق العقلي او الفلسفي . ومن اسس تعليلاته :

أ — الخفـــة والثقـــل

يعتدّ ابو حاتم كثيراً بمسألة الخفة والثقل ، وربط ذلك . فيما يلوح لي — بالاستعمال ، فما كان سائراً شائعاً خفّ ، وما كان قليل السيرورة والشيوع

(٨٣) لم أشأ ان أشير الى موضوعات الكتاب ، فقد اوضحت ذلك في الدراسة التي عقدتها لكتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري والموازنة بينه وبين الكتب النظائر . ينظر ص ٤٧ — ٥٤ .

ثقل ، وتعاور الحركات على حرف مما دليل ثقل ، وقلتها دليل خفة ، ومن هنا كان الممنوع من الصرف أخفّ من المنصرف ، ولانّ المذكر أخفّ من المؤنث انصرف الاول في الأعلام ، ولم ينصرف الثاني ، ليكون ثم لون من التوازن بين خفيف وثقيل ، وثقيل وخفيف ، قال : (واعلم أن المذكر أخفّ من المؤنث ، لانّ التذكير قبل التأنيث ، ولذلك صرف اكثر المذكر العربي ، وترك صرف المؤنث العربي) (٨٤) وذهب الى أن المؤنث النكرة منصرف فاذا سمّيت به المذكر علما لم ينصرف ، لأن النكرة اخف من المعرفة . (٨٥)

ومن ذلك ذهابه الى أن (العدل نظير الثقل ، فلم يصرف المعدول .) (٨٦)

وعلّل عدم لحاق تاء التأنيث للنعوت التي لا حظّ للذكر فيه ، نحو : حائض ، وطامث ، وطالق ، بأنّ التاء قد حذفت (٨٧) ، كما حذفت في جمع الأناث (٨٨) ، لان المؤنث ثقيل ، فيكون ذلك أخف له .

ومنه أن حذف التاء في (أخ) و (أب) قد جاء استخفافا ، اذ حقّ المؤنث ان يكون (أخة) أو (أخاة) على وزن (قطاة) (٨٩)

ب — الكثـــرة والقلّـــة

ويربط ابو حاتم ربطاً محكماً بين الخفة والكثرة ، الثقل والقلّة ، ويجعل ذلك ذا وشيجة قوية بمسألة الحذف ، فقد زعم انّ الحـذف الذي يلحق المفرد ، كما في الأخ والأب ، انما يلحق طلباً للخفة ، ذلك لأن الواحد

---

(٨٤) (٢) المذكر والمؤنث ٩٨ ب .
(٨٥) ينظر : المذكر والمؤنث ١٠١ أ .
(٨٦) المذكر والمؤنث ١١٠ ب .
(٨٧) نفسه ١١٦ ب .
(٨٨) نفسه ١٠٩ ب .
(٨٩) نفسه ١٨٨ ب ، وزعم ان (بنت) بناء على غير بناء (ابن) .

الفرد أكثر في الـكلام من المثنى والجمع « فهـو أحـوج الى الخفة ، والتثنية والجمع أقل في الكلام فكان الاقل احمل للثقل والأكثر أحوج الى الخفة » (٩٠) .

وزعم ابو حاتم أنّ علة صرف العلم المؤنث الثلاثي اذا سمّي به المذكر هي قلّة حروفه ، فاذا كثرت حروفه لم ينصرف . أمّا المؤنث المختوم المقصورة فهو لا ينصرف مؤنثاً كان او مذكرا استثقالا . (٩١)

ومن ذلك ذهابه الى أنّ علّة عدم احتياج نعت المؤنث الذي لا مذكر له الى التاء (٩٢) « ليكون اللفظ اقلّ وأخف » (٩٣) وذلك في نحو : حائض وطامث وقاعد ، وهذا — فيما يبدو لي — وهم وقع لأبي حاتم ، اذ لا ضرورة لهذه التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث . اذ لم يكن ثمة ضرورة للتفريق لاقتصار هذا النعت على الاناث دون الذكور ، وذلك بمألوف متداول ، ودليله أنّ أبا حاتم نفسه ذكر في موضع آخر أنّ نعت المذكر الذي لا نظير له في الاناث غير محتاج الى التاء أيضاً (٩٤) . كما تحذف في كثير من النعوت مما كان على زنة (فعول) بمعنى (فاعل) ، و (فعيل) بمعنى (مفعول) من

---

(٩٠) نفسه ١٨٨ ب ، ١٨٩ أ .

(٩١) نفسه ١٠٢ ب .

(٩٢) ويسميها أبو حاتم الهاء .

(٩٣) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ومن ذلك أيضا قوله في علة عدم لحاق التاء لبنات الاربعة عند التصغير لكثرة الحروف ، ولحاقها بنات الثلاثة حرصاً على بيان التأنيث ، فهذا يعني أن الميل الى قلة الحروف عنده اولى من ايضاح التأنيث فيها . (١٣٦ أ ، ١٥٠ أ).
غير ان ابا حاتم لم يتنبه الى انه ذكر ان تصغير (حرب) و(قوس) ، وهما مؤنثان ثلاثيان يكون بلا تاء ، فيقولون (حريب) و(قويس) . (١٥٧ أ) ثم علل لها بقـوله (ولا يقال : الذود الا من النوق ، والتصغير (ذويد) ، لانها أشبهت المصادر ، كما اشبهتها حرب وقوس) (١٦١ ب) .

(٩٤) المذكر والمؤنث ١٢١ ب ، ١٧٦ ب ، قال : (ومن صفات الحمى الصالب والنافض بغير هاء ، لان هذا المعنى لا يكون في شيء ذكر مثل الحمى) .

نحو : شكور وجسور ، سليب وصريع ، وذكر أيضاً انّ نعوتاً هي من من حظّ المؤنث لحقتها التاء ، وحذفها قليل (٩٥) ، نحو : حلوبة ، وركوبة ، قال : (وربما طرحوا أيضاً فقالوا : شاة رغوث وحلوب) واستشهد بقول كعب الغنوىّ :

يبيتُ الندى يا أمَّ عمرٍو ضجيعَه إذا لم يكن في المُنقياتِ حَلوبُ

وبقوله تعالى : (... فمنها ركوبهم ومنها يأكلون .) وقد وردت في مصحف ابن مسعود وأبي (فمنها ركوبتهم) بالتاء ، (٩٦)

وقد علّل ابو حاتم لذلك تعليلاً غريباً إذ جعل نعت المؤنث بالمذكر ونعت المذكر بالمؤنث لوناً من تبادل النعوت قصد فيه العرب الى الموازنة . ولا أرى ثمة ضرورة للافتراض والتحكم القسري بالمنطق اللغويّ .

وعلّل أيضاً لاتفاق نزع الهاء في النعوت التي هي على وزن (فعول) و (فعيل) بتقاربهما . (٩٧)

ويؤيد ذلك ان ابا حاتم قد ذكر أن الاستغناء عن التاء يأتي حين يكون للمؤنث لفظ خاص ، وللمذكر لفظ آخر ، نحو : حمار وأتان ، فاذا كان ثمّة شركة بينهما لزم لحاق التاء للمؤنث ، مثلما قالوا : حمارة (٩٨) وممّا يرد به عليه أيضاً ما رواه من قولهم : (اذا اتاكم كريمة قوم فأكرموه ، وكذلك كريم قوم .) (٩٩)

---

(٩٥) نفسه ١٢٤ ب .
(٩٦) نفسه ١٢٣ أ .
(٩٧) نفسه ١٢٤ ب .
(٩٨) المذكر والمؤنث ١٣٠ ب . كما قالوا (ضبع) للانثى ، ولم يلحقوا التاء ، لان المذكر (ضبعان) ولو لم يكن الضبع مؤنثا لقالوا (ضبعانة) تفريقا ، ولم يستغنوا عن التاء .. (١٣١ب) ومثله (العقرب الارنب) ، (القمي ، الليل) ١٧٢ .
(٩٩) نفسه ١٢٩ ب .

ومسألة الخفة والثقل التي وقفنا عندها كانت سائرة في تعليل ما يطرأ على اللغة من تبدلات ، وارتضاها الدارسون حتى العصر الحديث ، غير أن هذه المسألة ليست مطردة لما نجده في اللغة من الظاهرة وعكسها (١٠٠) وفي ظاهرة الممنوع من الصرف امور واضحة في هذا الباب .

٢ – القيـــاس والسماع

ابو حاتم راوية من الرواة (١٠١) ، وهـــو بصري في الاتجاه العـــام متعصب شديد العصبية ، وهو من ثمة يلتزم بالمنهج البصريّ في اعتداده بالقياس ، ولكنه يفزع الى المسموع ، فاذا لم يجد فيه ما يعضد قوله جرّد القياس (١٠٢) ومضى عليه من ذلك :

أ – قال فيما يسميه الصرفيون بتصغير الترخيم ، نحو تصغير ما كان على وزن (أفعل) من الصفات ، مثل : أسود ، على(سويد) بحذف (الالف) .

ب – اذا كان النعت ممّا يختصّ به المؤنث لم يسغ لحاق التاء به ، وكذا النعوت التي يشترك فيها المذكر والمؤنث ممّا كان على (فعيل ، وفَعول ، ومِفْعال ، ومفعيل) واوزان اخرى وما سوى ذلك دخلت فيه التاء فرقاً بين المذكر والمؤنث ، وهو القياس ، وقد سُمع : رجل عاقر وامرأة عاقر ، وجمل بازل وضامر ، وناقة بازل وضامر ، لم تلحقها التاء في التأنيث ، لانها ليست من هاتيك . قال ابو حاتم : (وكان القياس الفصل) (١٠٤) بعلامة التأنيث .

---

(١٠٠) ينظر : اللغة العربية عبر القرون ٣٧ .

(١٠١) وقد كتب السيد سعيد الزبيدي رسالته للماجستير وعنوانها : أبو حاتم السجستاني الراوية.

(١٠٢) خطبة المذكر والمؤنث ٩٦ ب .

(١٠٣) المذكر والمؤنث ١٧١ .

(١٠٤) المذكر والمؤنث ١٩١ أ .

ج – ويفهم من كلامه أنّ الخطاب بالفعل (هاء) يكون بلفظة للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ويقال قياسا على ما في القرآن : (هاؤُمُ اقرأوا كتابيهَ) للجميع ، وتقول للواحد الذكر : هاءِ ، فتفتح الهمزة التي في (هاء) ، وللاثنين : هاؤما بضمّ الهمزة ، وتدخل الميم ، كما تقول : عليك وعليكما ....) (١٠٥)

ومن دلائل ترجيحه السماع على القياس أنّ العرب لم تقل (فرسة) في تأنيث الفرس ، وهو القياس ، قال : (إلاّ أنّ كلام العرب لا يخالف إلاّ ما حكي عن يونس : فرسة وعجوزة) (١٠٦) ، ولانه لم يكن مطمئنا الى هذه الحكاية كلّ الاطمئنان ، زعم أن التاء هنا ليست للتأنيث ، وانما هي لتوكيد التأنيث (١٠٧) ، اذ التأنيث موجود في الاصل لمخالفة لفظ المؤنث لفظ المذكر ..

٢ – الاستطراد

لم يكن كتاب ابي حاتم وقفا على ظاهرة التذكير والتأنيث ، بل كان يستطرد الى كلّ ما يتصل بالظاهرة من اللغات (١٠٨) ، ومسائل النحو (١٠٩) والتصريف (١١٠) والدلالات (١١١) ، ولحق العامّة (١١٢) ، ووجوه القراءات (١١٣) وسواها بتفصيل واف ،

(١٠٥) نفسه ٩٩ أ .
(١٠٦) ، (١٠٧) نفسه ١٣١ أ .
(١٠٨) ينظر مثلا : ١١٤ أ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ أ ، ١٥٠ أ ، ١٦١ ب ، ١٦٧ ب ، ١٦٨ ب ، ١٧٧ ب ، ١٩٠ ب ، ١٩١ أ ، ١٩٣ ب .
(١٠٩) ينظر : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٢ ب ، ١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ب .
(١١٠) ينظر ١٠٣ أ ، ١١١ أ ، ١٤٣ أ ، ١٧٣ أ ، ١٨٧ أ .
(١١١) ينظر : ١١٦ أ – ١٢١ ب ، ١٦٦ أ ، ١٧٧ .
(١١٢) ينظر : ١٣٩ أ ، ١٤٩ أ ، ١٦٣ أ ، ١٩٠ أ ، ١٩٢ أ ، ١٩٧ أ .
(١١٣) ١٢٣ ، ١٤١ أ ، ١٦٠ أ ، ١٦٩ أ .
وسيكون لذلك كله بحث مستقل آت أدرس فيه نحو السجستاني ولغته .

مع غزارة الاستشهاد .

٣ ــ رعايته للقراءات

لأبي حاتم كتاب في القراءات كان يفخر به أهل البصرة ، لأنّه كان أجلّ كتاب صنّف فيها الى زمانه ، وكان من مصادر ابن جني في كتابه (المحتسب) (١١٤) ومن ثمّة كان ابو حاتم يعتدّ بالقراءات سبعية كانت ام شاذّة ، لا ينكر منها شيئا ، وهي ــ عنده ــ مناط للاستشهاد والتأييد .

مـــن ذلك :

أ ــ ما كان على زنة (فَعول) بمعنى (مفعول) من الصفات تلحقه التاء فرقا بين المذكر والمؤنث ، وقد تحذف ، وفي القرآن الكريم (فمنها رَكوبُهم ، ومنا يأكلون .) (١١٥) : (وفي مصحف ابن مسعود وأُبيّ : فمنها رَكوبتُهم .) (١١٦)

ب ــ ونقـــل قراءة الحسن في تذكير اللسان : (اللسان الذي يلحـــدون اليه أعجميّ) (١١٧)

ج ــ وقال تعالى : (بكأس من معين بيضاءَ لذةٍ للشاربين) (١١٨) ونقل أبو حاتم قراءة عبدالله بن مسعود : (صفراء الذة) موضع (بيضاء) (١١٩) .

---

(١١٤) خطبة المحتسب ٣٥ ، ٣٦ .

(١١٥) سورة ياسين ٣٦/ آية ٧٢ .

(١١٦) المذكر والمؤنث ١٢٣ ، وهي قراءة عائشة . وقرأ الحسن والاعمش : (فمنها ركوبهم) بضم الراء ، كما في مختصر ابن خالويه ١٢٦ .

(١١٧) ١٤١ أ ، سورة النحل ١٩/ آية ١٠٣ : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) ، وقراءة الحسن لا على تذكير اللسان بل على تحليته بالالف واللام . ينظر : مختصر ابن خالويه ٧٤ .

(١١٨) الصافات ٣٧/ آية ٤٥ .

(١١٩) ١٦٠ أ ، وهي قراءة ابن مسعود والحسن والضحاك ، كما في المختصر ١٢٨ .

د – وفي القرآن الكريم : (أولياؤهم الطاغوتُ يُخرِجونهم)(١٢٠) على أنّ (الطـاغوت) جمـع ، ونقل أبو حاتم قـراءة الحسن البصريّ : (اولياؤهم الطواغيت) على إفراد الطاغوت (١٢١) ، كما نقل قراءة (أُبَيّ) : (يخرجنهم) ، على الجمع المؤنث . (١٢٢) وكلٌّ عند أبي حاتم صحيح صواب .

شواهده :

ناهزت شواهده القرآنية سبعاً وسبعين آية ، وشـواهده من الحديث والاثر اثني عشر شـاهدا ، ومن الشعر ثلاثة وسبعين ومئة ، أنكر واحداً منها ، ومن الأرجاز تسعة وخمسين استشهد باحدها مرتين ، وكانت شواهده الاخرى اربعة وعشرين قولاً ومثلاً وأُحجية ودعاء .

وحين عرضت لشواهده من الشعر والرجز ، وجدت أنّه نسب منها جميعاً خمسة وعشرين ومئة ، ولم ينسب ستة شواهد ومئة ، وقد بان لي وانا انظر في شواهده المنسوبة ما يأتي :

١ – انّه نسب خمساً وأربعين شاهداً لشعراء جاهليين هم ، على على التوالي ، حسب عدد مرات ورود اسمائهم .

الاعشى (٩) ، زهير (٧) ، اوس بن حجر (٥) ، النابغة الذبياني وطفيل الخيل الغنويّ (٤) الشّماخ (٣) ، امرؤ القيس وعلقمة بن عبده (٢) ، وطرفة بن العبد ، والعباس بن مرداس ، ولبيد وحميد ابن ثور ، واعشى باهلة وابو الاخذم التميمي والايادي (لعلّه لقيط) وأميّة بن ابي الصلت وسلامة بن جندل (١) .

---

(١٢٠) البقرة ٢/ آية ٢٥٦ .

(١٢١) ينظر : المختصر ١٦ والبحر المحيط ٢٨٣/٢ ، وينظر في معنى الطاغوت : تفسير الطبري ٤١٧/٥ – ٤١٩ ، ومجمع البيان ٣٦٤/٢ .

(١٢٢) ١٦٩ أ ، ليست من الشواذ .

٢ – ونسب سبعة شواهد الى شعراء مخضرمين : جاهليين اسلاميين ، هم : الحطيئة (٣) ، النابغة الجعدي ، وحسان بن ثابت وكعب بن زهير (١) .

٣ – ونسب سائر الشواهد ، وعددها ثمانية وستون شاهداً الى الى شعراء اسلاميين وأمويين ، هم العجّاج (١٢) الراعي وابو النجم العجلي (٦) ، ذو الرمة ورؤبة (٥) الفرزدق وجرير والاخطل (٤) ، الهذلي (؟) وابن مقبل (٣) ، وأبو الاخزر الحِمّاني وساعدة بن جؤية (٢) ، ابن همّام السلولي ، وبشر بن ابي حازم وكعب الغنوىّ وعبدالرحمن بن حسّان والقطامي وردكين وابو كبير الهذلي ، والحارثي ، وابن ام صاحب ومعقّر وابن احمر الباهلي وعوف بن الاحوص الكلابي (١) .

وثمة شاهدان نسب اولهما للخثعمي وثانيهما لأعرابية .

٤ – وانكر ابو حاتم شاهدا لعمارة بن عقيل ، وهو عباسي ، متابعة للاصمعي ، وان كان عمارة من علماء اللغة والنحو .

٥ – مضى ابو حاتم على ما مضى عليه اللغويون من اقتصارهم في الاحتجاج على شعر شعراء الاعصر الاولى : الجاهلي فصدر الاسلام فالاموي ، وانكار ما سواه ، مثل انكاره بيت عمارة .

٦ – وأن نسبة الرجز المستشهد به عالية علوّا ينبىء بأنّ اللغويين يميلون الى شعر البداوة ، وهو واحد من مقاييسهم في اصالة الشعر وفصاحته .

٧ – ويبدو ان الشعر الذي لم يُعنَ ابو حاتم بعزوه ، هو ممّا شاع ، وجرى به الاستشهاد عند العلماء ، وبذلك وقع موقع المعزوّ من حيث روايته عن الثقات الاثبات .

اثر الكتاب فيما تلاه : ـ

اشـــرت فيما مضى الى انّ لكتاب ابي حاتم أثراً واضحاً في كتاب « المذكر والمؤنث » لابي بكر بن الانبـــاري (١٢٣) ، وكتاب « المخصص » لابن سيده .

(أ) كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري :

افاد ابن الانبـــاري من كتاب ابي حاتم افادة مباشـــرة صريحة في واحد وســـبعين موضعاً ، ناقش ابا حاتم في ثمانية منها ناقضـــا ما ذهب اليه وناقلا في ثلاثة وستين موضعاً من غير اعتراض او ردّ .

وسأذكر ثمة المواضـــع الاولى ، لبيان وجـــه المناقشة ، ومشيرا الى ما سواها متتبعا مواضعها من الكتابين (١٢٤) .

١ . قال ابن الانباريّ : « وقال السجستاني : العرب لا تقول : عجوزة بالهاء ، وهذا خطأ منه ، لأن ابا العباس احمد بن يحيى اخبرنا عن سلمـــة عن القرّاء ، قال : قال يونس : سمعت العرب تقول : فرسة وعجوزة ... » (١٢٥)

---

(١٢٣) ينظر : المذكر والمؤنث ٤١ .

(١٢٤) ينظر الصفحات الآتية من كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري ، وهوامشها :

١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ،
٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ،
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤-٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
٣٦٤ .

(١٢٥) المذكر والمؤنث ٨٩ ، ١٠٨ ، وقول الفراء في المذكر والمؤنث له ٨٨ .

وقد وقع لابن الانباريّ من الوهم مالا يجوز أن يقع منه ، وقد فاته أنّ أبا حاتم قد نقل عن يونس ما نقله هو عن الفراء عن يونس ، ذلك أن ابا حاتم كان يرى أنّ القياس هو لحاق التاء الفارقة للمؤنث .

ولم يسمع مثل ذلك عن العرب ، إلاّ انّ ما حكاه عن يونس عضد به قياسه ويبدو ان ابن الانباري قد اجتزأ بأوّل الكلام عن آخره ، قال أبو حاتم :

« وفرس ذكر ، وحجر للانثى ، وفرس انثى ، ولم يقولوا فرسة ، وكان القياس أن يقال ، إلاّ انّ كلام العرب لا يخالف ، إلاّ ما حكي عن يونس: فرسة وعجوزة،والهاء فيهما تأكيد للتأنيث» (١٢٦) .

وهذا يعني انّ ابا حاتم قد اعتدّ بالسماع الكثير ، فلم تكن التاء فارقة للتأنيث وهو لم ينكر حكاية يونس للاعتداد بالمسموع ايضا ، فهداه منطقه الى أنّ التاء هنا توكيد للتأنيث المعنويّ ، «تحقيق له » (١٢٧) .

٢ . قال ابن الانباريّ : « وكان السجستانيّ يسوّي بين كفيل واميز وهذا غلط منه ، لأن الامارة لاتكاد تكون في النساء ، والكفالة تكون في الرجال والنساء ، وقال ابو زيد الانصاريّ : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدلّ على وكيلة . » (١٢٨)

يبدو انّ الخلاف هنا آتٍ من خلافهما المذهبيّ ، فابن الانباريّ قاس على القليل في مثل (وكيلة) ، فيما نقله عن يونس ، على حين

(١٢٦) المذكر والمؤنث ق ١٣١ .

(١٢٧) المخصص ١٦/١٠٠ .

(١٢٨) المذكر والمؤنث ١٤٨ وينظر : المخصص ١٦/١٠٠ قد ذهب ابن سيده مذهب ابن الانباري ، وانكر ابن سيدة ايضا فرسة ١٦/١٠٥ .

كان مذهب ابي حاتم القياس على الشائع والكثير ، غير انّ ابا حاتم لم ينكر مقالة ابي زيد ، وانما قبلها ، واستدرك بها اطلاقه القول في التسوية بين المذكر والمؤنث فيما كان من الاوصاف على (فعيل) بمعنى (مفعول) ، وقد ردّ ابن الانباريّ على ابي حاتم بما ذكره ابو حاتم نفسه صنيعه في المسألة الاولى ، ثم ان ابا حاتم حكّم القياس في الامر : فهداه ذلك الى ارتضائه ، وان كان قليلا ، قال ابو حاتم : « تقول : فلانة وصيّ فلان ، وهي كفيلي وعديلي ... لأن الغالب على هذا الباب ، الذكور .

وكذلك فلانة شاهد لي ، وفلانة اميرنا ، وأميرنا امرأة ، وربّما قالوا : كفيلة ووصيّة وجريّة (١٢٩) ، ونحوها بالهاء على القياس ، وعلى شركة المذكر ، قال ابن همّام السلوليّ :

فلو جاؤوا ببرّة أو بهنـــدٍ لَبايعنا أميـرةَ مُؤمنينا » (١٣٠)

وقال بعد ذلك :

« وحدّثني ابو زيد الانصاريّ انّه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وجريّات ، وعدلات . » (١٣١)

ولم يكن ما قاله ابن الانباريّ مغايراً لهذا ، ولا مختلفاً معه ، وقد ورد له قوله : « وربّما ادخلوا الهاء ، واضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، ووكيلة بني فلان ، ووصيّة بني

(١٢٩) والجرى : الوكيل ، الواحد والجمع والمؤنث في ذلك سواء . (اللسان / جرا ١٤/١٤٢)، ونقل عن ابي حاتم قوله : وقد يقال للانثى : جرية بالهاء . ومن معاني الجري : الرسول والخادم .
ونقل صاحب المخصص ١٧/٣٥ ان ابا حاتم قال : وقد قالوا في المؤنث جرية ، وهو قليل .

(١٣٠) المذكر والمؤنث ١٢٢ آ .

(١٣١) نفسه ١٢٢ ب .

فلان . » (١٣٢) ، ثم استشهد ببيت ابن همّام السلولي .

ولو جمعنا ما تفرّق من كلام ابي بكر بعضه الى بعض ، وقابلنا به كلام ابي حاتم ، لوجدناهما متطابقين في الدلالة كلّ التطابق ، وان اختلفا في العبارة بعض اختلاف ، ومن هنا لم يكن لطعن ابن الانباريّ على ابي حاتم من مسوّغ .

٣ . قال ابن الانباريّ : « وقال السجستاني : الرِّجل من كلّ شيء مؤنثة وقال : الرجل من الجراد مؤنثة ، وقال : وهي بمنزلة الخِرقة من الجراد ولم يحك تأنيث رجل الجراد عن احد ، انّما قاله بالقياس والرأي ، والقياس يوجب تذكيره ، لأنه بمنزلة السّرب . » (١٣٣)

امّا الحكاية التي يعتدّ بها ، وتنسب الى صاحبها ، فهي المخالفة للمألوف الشائع ، وليس ثمّة خروج على العموم ، وامّا القياس الذي استشفّه ابن الانباري ، وافترض خطأه ، فليس بصواب ، فقد كان قياس ابي حاتم على انّ (رجل الجراد) هي بمعنى (خرقة جراد) ، أي : (قطعة منه) ، وكلٌّ مؤنث ، فقياسه اذن ، صحيح . قال ابو حاتم : « والرجل مؤنثة وثلاث ارجل ، وليس لها جمع غير الارجل ، وكذلك رجل من جراد ومن دبا ، وخرقة من جراد ، أي : قطعة منه . » (١٣٤)

أما حملة على انّ معناه (السّرب) ، هو مذكر ، فالقياس التذكير فذلك افتراض هو من شأن ابي بكر ، فإذا كان له ما يعضده من

(١٣٢) المذكر والمؤنث ١٤٨ .
(١٣٣) المذكر والمؤنث ٢٠٠ .
(١٣٤) المذكر والمؤنث ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

المسموع جاز وإلاّ فمقالته ليست صحيحة ، ولم يك ما أورده أبو حاتم مجانباً للصواب .

٤ . قال ابن الانباريّ : « والعاتق من الإنسان ، قال السجستاني : هو مذكر وانكر التأنيث ، وهذا خطأ منه ، لإنّ ابا العبّاس أخبرنا عن سلمة عن الفرّاء أنّ العاتق تذكر وتؤنث . وأنشدنا سلمة عنه في التأنيث :

لا صلحَ بيني فاعلموه ولا بينَكم ما حَملتْ عاتقي
سيفي ومـا كنّا بنجدٍ وما قَرْقَرَ قصْرُ الوادِ بالشاهقِ (١٣٥)

وقد أنكر ابو حاتم رواية التأنيث ، كما ردّ البيتين بقوله :

« وأنشدوا فيه بيتاً ليس بثبت ولا عن ثقة . » (١٣٦)

والبيتان ، في واقع الامر ، ليسا واضحي النسبة ، اذ يتنازعهما هماوبيتاً ثالثاً أكثر من شاعر ، والخلاف ثمّة مذهبيّ ، فالكوفيون يلتمسون الروايات ويقبلونها ، على حين يغالي البصريون في الاتجاه العام ، في تحريّ الروايات وتوثيقها .

وأمّا في تحقيق جنس (العاتق) فهو يذكر ويؤنث عند الفراء (١٣٧) ، ابي عبيد (١٣٨) وابي البركات الانباريّ (١٣٩) ، وصاحب اللسان (١٤٠) ، وقيّد ابو موسى الحامض (١٤١) ، واحمد ابن فارس (١٤٢)

---

(١٣٥) المذكر والمؤنث ، ٢٠٨ . (١٣٦) المذكر والمؤنث ١٤٥.
(١٣٧) المذكر والمؤنث ٧٧ . (١٣٨) الغريب المصنف ٥٣٣ . (١٣٩) البلغة ٧١ .
(١٤٠) اللسان (عتق) ١٠/٢٣٧ ، ٢٣٨ ، قال : « والعاتق .... مذكر ، وقد أنث ، وليس بثبت . »
(١٤١) ما يؤنث ويذكر ٢٦ ، وقال في ٢٧ : « ذكر ، ورد عمر بن حيوية بانه ذكر وأنثى ، واستشهد بالبيتين ، وبقول الشاعر :
وما المولى وان عرضت قفـاه
(١٤٢) المذكر والمؤنث ٥٥ .

التأنيث بأنّه غير فصيح ، قالا : « والعاتق مذكر ، وربّما أنّثوه ، وليس بالفصيح » .

وهو مذكر في الاختصار (١٤٣) ، وعند اللحياني (١٤٤) .

وخالفه ابن برّي (١٤٥) ، بذهابه الى التأنيث مستشهدا بالبيتين وقبلهما ثالث :

لا نسبَ اليومَ ولا خلّةٌ اتّسعَ الفَتْقُ على الراقعِ

وعزاها لابي عامر جدّ العباس بن مرداس ، وقال : ومن روى البيت الاول اتسّع الخرق على الراقع فهو لأنس بن العباس بن مرداس من هنا كان ما ذهب اليه ابن الانباريّ ، هو ما كان عليه الاكثرون .

هذه مواضع من مناقشات ابن الانباري لابي حاتم ، وثمّة مواضع اخرى (١٤٦) ، ليس لها شأن يوجب شرحها وتفصيل القول فيها .

ب . المخصص لابن سيدة

يقوم الجزآن السادس عشر والسابع عشر في معظم موادّهما على ظاهرة التذكير والتأنيث بتفصيل واف ، ونقل كثير عن اللغويين ، وإنْ كان وقع له شيء من الوهم او السهو (١٤٧) ، إذ لم يُشِرْ في طائفة كبيرة ممّا نقل الى مَنْ أفاد منهم ، وقد عوّل على أبي حاتم في مسائل مهمّة ، وان كانت محدودة (١٤٨) ويقيناً أنّ ما لم ينبه اليه أكثر .

---

(١٤٣) في التذكير والتأنيث ٢٧ . (١٤٤) اللسان (عتق) ٢٣٨/١٠ . (١٤٥) نفسه .

(١٤٦) ينظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦١٣ وهامشها ، ٦٢٥ وهامشها .

(١٤٧) من ذلك ما نقله عن كتاب ابن الانباري بلا عزو ، ينظر مقدمة المذكر والمؤنث ٦٤ ، ٦٥.

(١٤٨) ينظر : المخصص ١٠٠/١ ، ١٠١ ، ١٢١/١٧ (اكثر من موضع) ، ٣٥/١٧ ، ٤٨/١٧ ، ١١٩/١٧ ، ١٢٦/١٧ .

ولم أجد بي حاجة الى ذكرها ، لأن ابن سيدة كان ناقلا حسب ، ويستطيع الباحث الرجوع اليها في مظنتها .

وبعـــد .

فقد وضح لنا في ضوء ما تقدّم :

١ ــ أن كتاب المذكر والمؤنث هـو الكتـاب المفرد الـذي يكشف بصراحة عن شخصية ابي حـاتم اللغويـة والنحويـة لان كتبـه التـي وصلت الينا لا تحدد الا يسيرا من قسماته في الدرس اللغوي .

٢ ــ وانّه كان خلاصة وافية للغات القبائل ، واقوال علمـــاء اللغة الاوائل في ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة . مـع تعليلات عقليـــة احيانا .

٣ ــ وأنّه بازاء كتب التذكير والتأنيث الاولى : كتـاب الفـراء . ومختصر المفضل بن سلمة ، اوسعهـا ، واكثرهـا استقصـاء ، واعمقهـــا بحثا .

٤ ــ وأنّ منطق اللغة لا ينسجم مع منطق اللغويين ومقاييسهـــم الا لماما .

٥ ــ وأنّ ظاهرة التذكير والتأنيث ، وقـد كتب فيهـــا كثير من المحدثين ، ماتزال تنتظر من يدرسها بتدقيق واستقراء بعد الاحـاطـــة بمادتها الاوليـة في كتبهـــا التي برزت من ركام التاريخ ، لان الدراسات السابقة كانت قاصرة ومحدودة .

★ ★ ★